

منظومة القيم في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي (الجيل الثاني) في ضوء منهاج 2016:
دراسة تحليلية تقييمية

The Value System in the Arabic Language Textbook for the Fourth Year of Primary Education (Second Generation) in Light of the 2016 Curriculum: An Analytical Evaluative

عمر بوحملة¹

¹ المركز الجامعي سي الحواس بركة (الجزائر)، طريق أمدوكال بركة، مخبر دراسات في اللغة والأدب،

amar.bouhamla@cu-barika.dz

تاريخ الاستلام: 2026/05/28 تاريخ القبول: 2026/07/06 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

تهدف الورقة البحثية الموسومة: "منظومة القيم في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي (الجيل الثاني) في ضوء منهاج 2016: دراسة تحليلية تقييمية" إلى تحليل المحتوى القيمي المتضمن في كتاب اللغة العربية، والكشف عن مدى تجسيده لتوصيات منهاج 2016، ولتحقيق هذا المبتغى، تم الاعتماد على المنهج الوصفي كأداة لتفكيك النصوص وتصنيف القيم الواردة فيها وفق أبعادها الثلاثة المقررة: (أبعاد الهوية الوطنية، وقيم المواطنة، وقيم التفتح على العالم).

وقد خلصت إلى جملة من النتائج، أبرزها: وجود انعكاس واضح ومتوازن لمنظومة القيم المستهدفة داخل المحتوى المقرر؛ حيث برزت قيم الهوية في تعزيز أواصر الانتماء والاعتزاز بالمقومات الحضارية، وتجلت قيم المواطنة في سلوكيات التعاون والمسؤولية الاجتماعية، في حين تميزت قيم التفتح على العالم في أبعاد التعايش الإنساني واحترام الآخر، وتؤكد هذه النتائج في مجملها إسهام الكتاب الفاعل في تحقيق الغايات التربوية للمنهاج، والمتمثلة في بناء شخصية متعلم معتز بأصالته، ملتزم بمواطنته، ومنفتح بشكل إيجابي على محيطه العالمي. كلمات مفتاحية: القيم؛ منظومة القيم؛ المنهاج؛ المحتوى؛ التعليم الابتدائي؛ الكتاب المدرسي.

Abstract:

This research paper, titled "The Value System in the Arabic Language Textbook for the Fourth Year of Primary Education (Second Generation) in Light of the 2016 Curriculum: An Analytical Evaluative Study," aims to analyze the value-based content included in the Arabic language textbook and to uncover the extent of its embodiment of the 2016 curriculum recommendations

. To achieve this objective, a descriptive methodology was utilized as a tool for deconstructing the texts and classifying the values within them according to the three prescribed dimensions: (dimensions of national identity, citizenship values, and values of openness to the world).

The study yielded a set of results, most significantly: the presence of a clear and balanced reflection of the targeted value system within the assigned content

. Identity values were prominent in strengthening the bonds of belonging and pride in civilizational foundations, while citizenship values manifested in behaviors of cooperation and social responsibility

. Meanwhile, values of openness to the world appeared through dimensions of human coexistence and respect for others

. Collectively, these findings confirm the active contribution of the textbook toward achieving the curriculum's educational goals, which include building a student's personality that is proud of its authenticity, committed to its citizenship, and positively open to its global environment

Keywords: Values, Value System, Curriculum, Content, Primary Education, Textbook

*المؤلف المرسل: عمر بوحملة

1. مقدمة

المدرسة مؤسسة اجتماعية وتربوية تؤدي دوراً محورياً في إعداد الأفراد وتنشئتهم؛ إذ لا يقتصر دورها على نقل المعارف وتلقين المعلومات، بل يتجاوز ذلك إلى بناء شخصية المتعلم وصياغة منظومته الفكرية والقيمية بما يحقق توازنه النفسي والاجتماعي، ويؤهله للانندماج الإيجابي في مجتمعه.

وهو ما تسعى إليه المدرسة الجزائرية بتبني فلسفة تربوية حديثة قائمة على التكامل بين البعدين المعرفي والقيمي؛ لأنّ تكوين المواطن الصالح لا يتحقق بالمعرفة وحدها، وإنما يقتضي أيضاً ترسيخ القيم والاتجاهات التي تضبط السلوك وتوجّه الممارسة.

ويتّرجم ذلك ما جاء في منهاج اللغة العربية لسنة 2016 مؤكداً مركزية القيم في العملية التعليمية، من خلال إرساء منظومة مرجعية تستهدف بناء متعلم معترّ بهويته الوطنية، واعٍ بمسؤولياته المدنية، ومنفتح على العالم وقيمه الإنسانية المشتركة.

وتكتسي مادة اللغة العربية في هذا المنهاج أهمية خاصة ضمن هذا التوجه؛ لأنها وعاء الهوية الوطنية والحضارية، وأداة التواصل والتفكير والتعبير، فضلاً عن كونها مجالاً رحباً لغرس القيم وتوجيه السلوك، فقد حرص المنهاج على أن تكون النصوص التعليمية حاملةً لأبعاد تربوية وثقافية وأخلاقية تتجاوز حدود التعلّم اللغوي إلى الإسهام في بناء شخصية المتعلم وتنمية مواقفه واتجاهاته.

ويُعدّ الكتاب المدرسي الوسيط الرئيس الذي تتجسّد من خلاله هذه التوجهات؛ باعتباره الترجمة العملية لمضامين المنهاج وأهدافه، والوعاء الذي تنتظم فيه المعارف والقيم والخبرات الموجهة للمتعلمين.

وانطلاقاً من المكانة التي يحتلها الكتاب المدرسي في تجسيد التوجهات التربوية للمنهاج، تبرز أهمية الوقوف عند المضامين القيمية التي تتضمنها نصوصه التعليمية، باعتبارها الوسيلة الأنجع لترجمة الأهداف التربوية إلى مواقف وسلوكات واتجاهات يكتسبها المتعلم في حياته اليومية؛ فالنصوص المدرسية لا تؤدي وظيفة تعليمية لغوية فحسب، وإنما تسهم كذلك في غرس منظومة من القيم والمعايير التي توجه سلوك المتعلم وتؤثر في رؤيته لذاته ولمجتمعه ولمحيطه الإنساني.

تقويمية

وتحاول هذه الورقة البحثية الموسومة : "منظومة القيم في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي (الجيل الثاني) في ضوء منهاج 2016: دراسة تحليلية تقويمية" الكشف عن منظومة القيم المتضمنة في نصوص كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي، ورصد مظاهر تجسدها في مختلف المقاطع التعليمية، مع الوقوف على مدى انسجامها مع التوجهات القيمية التي أقرها منهاج اللغة العربية لسنة 2016 ، كما تهدف إلى إبراز الدور الذي تؤديه هذه النصوص في ترسيخ قيم الهوية الوطنية، وتعزيز مبادئ المواطنة والمسؤولية الاجتماعية، وتنمية قيم التفتح على العالم القائمة على الحوار والتسامح واحترام الاختلاف والتعايش السلي. وفي ضوء هذه المعطيات، تتحدد الإشكالية في التساؤل الرئيس الآتي: إلى أي مدى تجسد نصوص كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي (الجيل الثاني) منظومة القيم التي أقرها منهاج اللغة العربية لسنة 2016؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس ثلاثة أسئلة جزئية: كيف تجسدت قيم الهوية الوطنية في نصوص الكتاب؟ وكيف تجسدت قيم المواطنة في محتواه النصي؟ وإلى أي مدى عكست هذه النصوص قيم التفتح على العالم واحترام الآخر والتعايش معه؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، تم الاعتماد على المنهج الوصفي القائم على تحليل المحتوى، مع الاستئناس بالمقاربة النصية التي تتخذ من النص محورا أساسيا للكشف عن الدلالات الفكرية والتربوية والقيمية، من خلال فحص النصوص الواردة في مختلف المقاطع التعليمية، واستخراج المؤشرات والعبارات الدالة على القيم وتصنيفها وفق مجالاتها المرجعية، ثم مقارنتها بمنظومة القيم المحددة في المنهاج؛ قصد تقويم مدى حضورها وفاعليتها في تحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

وقبل الشروع في الإجابة عن الأسئلة المبسطة في الإشكالية وتحليل مضامين النصوص المدروسة، يتوجب الوقوف عند جملة من المفاهيم الأساسية المرتبطة بموضوع البحث؛ لما لها من أهمية في ضبط الإطار النظري وتحديد منطلقاته الإجرائية، وعليه، سيتم التطرق إلى مفهوم القيم ومنظومة القيم، ثم بيان مكانتها في المنهاج التربوي، فضلاً عن التعريف بالكتاب المدرسي ووظيفته التربوية، باعتباره الحامل الرئيس للمضامين القيمية والمعرفية التي يستهدفها المنهاج.

2. مفهوم القيم ومنظومة القيم.

تدل كلمة "القيمة" في أصلها اللغوي على معاني متعددة ترتبط بالفعل "قام"، ومن أبرزها الديمومة والثبات، والسياسة والرعاية، فهي تشير إلى ما يدوم ويثبت ولا يزول، كما تدل على القيام على شؤون الغير ورعايتها وتديرها، ومنه وصف القيم بأنه السائس والمدير للأمر.

وترتبط القيمة كذلك بمعاني الاستقامة والصلاح، إذ يوصف الأمر القيم أو الدين القيم بأنه المستقيم والثابت الذي يصلح أحوال الناس ويقوم شؤونهم ، ومن ثم تكشف الدلالة اللغوية للقيم عن مجموعة من المعاني

الإيجابية التي تجمع بين الثبات والاستمرار، وحسن التدبير، والاستقامة والصّلاح (الجلاد، 2013، صفحة 11)، وهي معانٍ تُمدّد لفهم القيم اصطلاحاً بوصفها مبادئ ومعايير موجّهة لسلوك الإنسان ومقوّمه له.

وتعرف القيم اصطلاحاً على أنّها "مجموعة من القوانين والأهداف والمثل العليا والمقاييس والأفكار المرغوبة والتي تنشأ من الجماعة وتحكم بها على الأعمال والأشياء باعتبارها معايير جيّدة، تتناول مسائل الحق والباطل الصّواب والخطأ، والخير والشرّ، في سلوك الأفراد، ويكون لها من الإلزام بحيث من يخرج عليها ينال العقاب من الجماعة" (العاني، 2014، صفحة 23) ويتضح من التعريف أن القيم ليست مجرد أفكار أو تصورات ذهنية مجردة، وإنّما منظومة من المعايير والمبادئ التي يضعها المجتمع، ويعدها مرغوبة وجديرة بالاتباع؛ فقد أشار إلى أن القيم تتجسّد في صورة قوانين وأهداف ومثل عليا ومقاييس توجه سلوك الأفراد، وتساعدتهم على التمييز بين السلوكات المقبولة والمرفوضة، كما يبرز التعريف البعد الاجتماعي للقيم؛ إذ إنّها لا تنشأ بمعزل عن الجماعة، بل تستمد وجودها من الثقافة السائدة ومن المرجعيات الدينيّة والحضاريّة والأخلاقيّة التي يتبناها المجتمع.

ويؤكد التعريف كذلك على الوظيفة المعيارية للقيم، من خلال اعتبارها أداة للحكم على الأفعال والأشياء والمواقف، وفق ثنائيات معيارية مثل: الحق والباطل، والصّواب والخطأ، والخير والشرّ؛ الأمر الذي يجعلها مرجعاً يستند إليه الفرد في توجيه سلوكه واتخاذ قراراته؛ فالقيمة لا تكتفي بوصف الفعل أو تفسيره، وإنّما تمنحه حكماً تقويمياً يحدّد مدى قبوله أو رفضه في الوسط الاجتماعي.

ومن الجوانب المهمة التي أبرزها التعريف أيضاً الطابع الإلزامي للقيم؛ فهي لا تُطرح بوصفها اختيارات فردية محضة، بل باعتبارها معايير مُلزّمة يحظى المُلتزم بها بالتقدير والقبول الاجتماعي، في حين يتعرّض من يخالفها إلى أشكال مختلفة من اللّوم أو الرّفص أو العقاب الاجتماعي، وهذا ما يمنح القيم فاعليتها في ضبط السلوك والمحافظة على تماسك الجماعة واستقرارها.

وتعرف القيم أيضاً بأنّها: "مجموعة المبادئ والمعايير التي تقوم بعملية ربط البناء الاجتماعي بأجزائه المختلفة، وتنظيم علاقات الأفراد وتوجيهها بحيث تكون سلوكياتهم منسجمة ومقبولة لدى الجماعة" (الهندي، 2001، صفحة 21)

يوضح هذا التعريف أنّ القيم تمثل منظومة من المبادئ والمعايير التي تضطلع بدور أساسي في تنظيم الحياة الاجتماعية؛ فهي تشكل الإطار المرجعي الذي يربط بين مختلف مكونات المجتمع، ويوجه العلاقات القائمة بين أفرادها، ومن خلال ما تتضمنه من ضوابط ومعايير مشتركة، تسهم القيم في تحقيق قدر من التّوافق والانسجام بين أفراد الجماعة، وتحدّد السلوكات التي تحظى بالقبول الاجتماعي وتلك التي تُعدّ مخالفة لتوقعات المجتمع ومعاييره. كما يبرز التعريف الوظيفة التكاملية للقيم في المحافظة على تماسك البناء الاجتماعي واستقراره؛ إذ تعمل على توحيد التّصورات والاتجاهات العامة للأفراد، وتوجيه سلوكهم نحو ما ينسجم مع مصالح الجماعة، وأهدافها المشتركة. وبهذا المعنى، لا تُعدّ القيم مجرد قناعات فردية، بل تمثل مرجعاً اجتماعياً يضبط العلاقات الإنسانية، ويعزّز روح التعاون، والتفاهم، والاحترام المتبادل داخل المجتمع.

تقويمية

وتعرف القيم في الفكر الإسلامي بأنها: "حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة المبادئ، والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك" (المانع، 2005، صفحة 15)

ويتبين من التعريفات السابقة، أنّ القيم تمثل منظومة من المبادئ والمعايير والمثل التي يعتمد عليها المجتمع للحكم على الأفعال والمواقف والسلوكات؛ فهي تحدّد ما يعدّ صواباً أو خطأً، وخيراً أو شراً، ومرغوباً فيه أو مرفوضاً. وبذلك، تؤدي القيم وظيفة معيارية أساسية تجعلها مرجعاً يستند إليه الفرد في توجيه سلوكه واتخاذ قراراته، كما تمنحه القدرة على التمييز بين السلوكات المقبولة وغير المقبولة وفقاً للمعايير السائدة في مجتمعه. ولا تقتصر القيم على كونها أفكاراً أو تصورات نظرية، بل تتسم بطابع إلزامي يجعل الالتزام بها محلّ تقدير وقبول، في حين يقابل الخروج عنها بأشكال مختلفة من الرفض أو اللوم الاجتماعي.

كما تكشف هذه التعريفات عن البعد الاجتماعي للقيم؛ إذ تنشأ داخل الجماعة وتعبّر عن مرجعياتها الثقافية والأخلاقية والدينية، وتسهم في تنظيم العلاقات بين أفرادها وتحقيق الانسجام بينهم؛ فالقيم تؤدي دوراً محورياً في ربط مكونات البناء الاجتماعي، وتوجيه سلوك الأفراد بما ينسجم مع أهداف الجماعة، ومصالحها المشتركة، الأمر الذي يعزّز التماسك والاستقرار الاجتماعيين.

ويزداد هذا البعد وضوحاً في التصور الإسلامي الذي يجعل القيم مستندة إلى مبادئ الشرع وأحكامه، فتغدو أداة لضبط السلوك الإنساني وتحديد ما ينبغي الإقبال عليه أو الابتعاد عنه، بما يحقق صلاح الفرد والمجتمع معاً.

وأما منظومة القيم : أو ما يعرف بالنسق القيمي فيقصد بها "مجموعة القيم المنظّمة هرمياً وفقاً للاحتياجات الفردية، أو المجتمعية، والتي تشكل عاملاً حاسماً في معتقدات وسلوك الفرد والمجتمع، وتمتاز بالثبات النسبي" (فرهود و عبد، 2023، صفحة 54) ، ويُفهم من ذلك أنّ القيم لا توجد بصورة متفرقة، بل تنتظم داخل نسق مترابط تتفاوت فيه القيم من حيث الأهمية والأولوية؛ فمثلاً قد تُقدّم القيم الدينية والأخلاقية في بعض المجتمعات على القيم المادية أو الفردية.

ومن أبرز النماذج التي تناولت التنظيم الهرمي للقيم نموذج عالم النفس الأمريكي أبراهام ماسلو (أبوقطة، 2025، صفحة 146)، إذ ربط القيم بحاجات الإنسان ورتبها في شكل هرمي متدرج؛ فبحسب تصوّره، ينتقل الفرد من الاهتمام بالحاجات الأساسية إلى القيم العليا؛ حيث تأتي الحاجات الفسيولوجية والأمن في قاعدة الهرم، ثمّ حاجات الانتماء والتقدير، وفي القمة حاجات تحقيق الذات، وما يرتبط بها من قيم معرفيّة وأخلاقيّة وجماليّة، ويفهم من ذلك أنّ القيم ليست في مستوى واحد، بل تختلف من حيث الأولوية والأهمية تبعاً لحاجات الفرد والمجتمع.

3. منظومة القيم ومكانها في منهاج اللغة العربية (2016)

يعرض منهاج اللغة العربية لمرحلة التعليم الابتدائي (2016) منظومة القيم في صورة مدونة مرجعية، تُوجّه المعلّم في بناء الوضعيات التعليمية واختيار الأنشطة الملائمة لترسيخ القيم لدى المتعلمين، ولا يتعامل منهاج مع القيم بوصفها مضامين قابلة للبرمجة المسبقة أو التلقين المباشر، بل يجعل توظيفها مرتبطاً بالسياقات التعليمية المختلفة وطبيعة الأنشطة المعتمدة، مبرزاً ذلك بـ«صعوبة برمجة القيم برمجة مسبقة شأنها في ذلك شأن الكفاءات العرضية - لكونها، ترتبط ارتباطاً خاصاً بالوضعية التعليمية، وبالوظائف والنشاطات التي تستخدمها» (وزارة التربية الوطنية اللجنة الوطنية للمناهج، 2016، صفحة 6).

ومن ثمّ تتحدّد منظومة القيم فيه باعتبارها إطاراً مرجعياً يسهم في بناء شخصية المتعلّم وتحقيق توازنه النفسي والاجتماعي، من خلال مجموعة من القيم الروحية والدينية والخلقية والاجتماعية والثقافية والفكرية الموزعة على ثلاثة مجالات متكاملة هي: المواطنة والهوية الوطنية، والتفتح على العالم.

ويتصل المجال الأول، وهو الهوية الوطنية، بترسيخ مقومات الانتماء الديني واللغوي والحضاري لدى المتعلّم؛ إذ تؤكد دلالاته على احترام الرّموز الوطنية والتربوية من خلال الوقوف للعلم احتراماً، والاعتزاز باللغة العربية باستعمالها استعمالاً سليماً في التواصل، إلى جانب إفشاء السلام والتّحية بوصفهما سلوكاً يعكس القيم الدينية والاجتماعية.

كما يتجسّد هذا الانتماء في إنشاد نشيد «قسماً» بشكل سليم، وحفظ السّور القرآنية المقرّرة، والامتنال لما تتضمنه الأحاديث النبوية المدروسة من توجيهات وقيم أخلاقية، بما يسهم في توثيق صلة المتعلّم بمرجعياته الوطنية والدينية.

أما مجال المواطنة، فيهدف إلى إعداد فرد إيجابي ومسؤول داخل مجتمعه، قادر على التفاعل البناء مع محيطه.

وتبرز دلالات هذا المجال في تنمية روح التعاون مع الغير والإقبال على العمل التشاركي، والمساهمة في مختلف الأنشطة الثقافية، فضلاً عن اعتماد أساليب الحوار في معالجة المواقف والخلافات.

كما يركز منهاج على غرس جملة من القيم المدنية والأخلاقية، مثل التحلي بالصدق، والمحافظة على البيئة، والانضباط بالآداب العامة، بما يعزّز لدى المتعلّم الإحساس بالمسؤولية والالتزام بقواعد الحياة الجماعية.

وفي مجال التفتح على العالم، يسعى منهاج إلى تنمية قيم الانفتاح والتّعايش السّلمي واحترام الآخر، من خلال تعويد المتعلّم على التفاعل الإيجابي مع محيطه الإنساني، وتتجلى دلالات هذا المجال في التّعايش السّلمي مع الآخرين ونبذ العنف بمختلف أشكاله، إضافة إلى احترام موقف الأقلية داخل الفوج التربوي وقبول تداول القيادة بين أفرادها.

وتندرج هذه السلوكات ضمن تربية المتعلّم على الممارسات الديمقراطية وقبول الاختلاف، بما يساعده على اكتساب قيم إنسانية عالمية تؤهله للاندماج الإيجابي في المجتمع والانفتاح الواعي على العالم.

تقويمية

وقد بينت الوثيقة المرافقة لمنهاج مرحلة التعليم الابتدائي مجالات القيم ودلالاتها كما يظهر في الجدول التالي

(وزارة التربية الوطنية، اللجنة الوطنية للمناهج، 2016، صفحة 46)

جدول رقم (01) مجالات القيم	
مجالات القيم	دلالات القيم
المواطنة	يتعاون مع الغير
	يقبل على العمل التشاركي
	يساهم في مختلف الأنشطة الثقافية
	ينتهج أساليب الحوار
	يتحلى بالصدق
	يحافظ على البيئة
	ينضبط مع الآداب العامة
	يقف للعلم احتراماً
الهوية الوطنية	يتحدث بلغة عربية سليمة
	يفشى السلام والتحية
	ينشد نشيد قسماً بشكل سليم
	يحفظ سور القرآن المدروسة
	يمثل للأحاديث النبوية المدروسة
	يتعاشق سلمياً مع الآخرين
التفتح على العالم	ينبذ العنف
	يحترم موقف الأقلية في الفوج
	يقبل تداول القيادة في الفوج

ويشير منهاج اللغة العربية في مرحلة التعليم الابتدائي إلى طريقة معالجة الموضوعات القيمية؛ ففي أثناء التعلم يجب أن تتكفل الوضعية المشكل بالقيم بشكل يكسب التلاميذ سلوكات، تتفق وهذه القيم، كما يجب أن تكون الوضعية مهيكلية بشكل يجعلها تستخدم الكفاءات العرضية المستهدفة (وزارة التربية الوطنية للجنة الوطنية للمناهج، 2016، صفحة 06).

وعلى الرغم من أن المنهاج حدد مجالات القيم ودلالاتها، فإنه لم يشر، لا هو ولا الوثيقة المرافقة له أو دليل استعمال كتاب اللغة العربية في مختلف مستويات التعليم الابتدائي، إلى طريقة محددة من طرائق تعليم القيم بشكل صريح، سواء أكانت الطريقة العرضية أم التفاعلية أم الكشفية.

غير أنّ قراءة التّوجّهات البيداغوجية الواردة في دليل استعمال كتاب اللّغة العربية تسمح باستنتاج اعتماد الطّريقة الحوارية في تعليم القيم؛ إذ يتجلى ذلك في الشّروح والمقترحات المتعلّقة بسيرورة الأنشطة اللّغوية خلال الأسبوع، والتي تقوم على المناقشة وتبادل الآراء والتّفاعل بين المتعلّمين حول المواقف والقضايا المطروحة، بما يتيح ترسيخ القيم وتنميتها في سياقات تعليميّة تواصلية (بوحملة، 2020).

4. الكتاب المدرسي ووظيفته التربوية:

الكتاب المدرسي "أداة مهمة من أدوات التّعليم والتّعلّم، يعتمد عليها المعلّم في تنظيم تعليمه، والمتعلّم في قراءاته وأنشطته لإحداث التّغيرات المرغوبة في أنماط سلوكه" (دياب، 2006، صفحة 05)، يقدم التّعريف نظرة شمولية للكتاب المدرسي بوصفه عنصراً فاعلاً في المنظومة التربوية؛ إذ تتجاوز وظيفته حدود نقل المعارف إلى الإسهام في بناء عملية التّعلّم ذاتها وتوجيهها؛ فاعتماد المعلّم عليه في تنظيم التّعليم يعكس كونه ترجمة عملية للمنهج الرّسمي، تتجسّد فيه الأهداف والمضامين والأنشطة بصورة مرتبة ومتدرّجة، بما يضمن انسجام الممارسات الصّفيّة مع المقاصد التربوية المرسومة، ومن ثمّ يغدو الكتاب أداةً تنظيميّة تضبط مسار التعلّم وتوفّر مرجعاً موحّداً يساعد على تحقيق التّكامل بين مختلف مكوّنات العملية التّعليميّة.

ولا يقتصر دوره على توجيه المعلّم بل يمتدّ إلى المتعلّم من خلال ما يتيح من فرص للتفاعل مع المعرفة عبر القراءة والتّأمّل والإنجاز؛ فالمتعلّم لا يتلقّى المحتوى الوارد فيه بصورة سلبية، بل ينخرط في أنشطة ومواقف تعليميّة تسهم في تنمية قدراته الفكرية واللّغوية وتدريبه على توظيف ما يكتسبه في سياقات مختلفة. وبهذا المعنى يصبح الكتاب المدرسي وسيلةً لإحداث التّغيير المنشود في شخصية المتعلّم، لأنّ المعارف والمهارات التي يتضمنها ترتبط بمنظومة من القيم والاتجاهات التي تسعى المؤسسة التربوية إلى ترسيخها، بما يجعل أثره ممتداً من التّحصيل الدّراسي إلى تكوين السّلوّك وبناء الشّخصية المتوازنة القادرة على التّفاعل الإيجابي مع محيطها. وعموماً يُنظر إلى الكتاب المدرسي بأنّه: "نظام كلي يتناول عنصر المحتوى في المنهج، ويشتمل على عدة عناصر هي: الأهداف، والمحتوى، والأنشطة، والتّقويم، ويهدف إلى مساعدة المعلّمين والمتعلّمين في صف ما، وفي مادة ما، على تحقيق الأهداف المتوخاة" (عطية، 2013، صفحة 142).

ويطلع كتاب اللّغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي بهذا الدّور، وهو ما تؤكده الكلمة الافتتاحية لمؤلفيه (بن الصّيد، 2017، صفحة 03)، إذ يصرّحان بأنّ الكتاب يستمدّ مرجعيته من منهج المادة والوثيقة المرافقة والمخطط العام للبرنامج الدّراسي، وأنّه صُمّم في إطار المشروع التربوي الهادف إلى تحقيق الكفاءة الشّاملة انطلاقاً من الكفاءات الختامية للميادين.

ويكشف هذا التّصور عن مكانة الكتاب المدرسي بوصفه أداة لتنفيذ التّوجّهات التربوية الرّسمية وتجسيدها في محتويات وأنشطة تعليميّة منظّمة، لا مجرد وعاء لنقل المعارف، كما يبرز حرص المؤلفين على ترجمة المنهج ترجمة دقيقة من خلال تنوع المحتويات وضبط الموارد والكفاءات المستهدفة، وتنظيمها ضمن ثمانية مقاطع تعليمية متوازنة ومتكاملة تقوم على أنشطة ومهمّات مترابطة تسهم في بناء التّعلّمات تدريجيّاً وصولاً إلى تحقيق الكفاءة الختامية المنشودة.

تقويمية

كما يؤكد المؤلفون اعتماد المقاربة النّصية أساساً لتنظيم المادة التّعليمية، حيث يشكل النّص المنطوق أو المكتوب منطلقاً لبناء مختلف التّعلّمات اللّغوية وتنمية كفاءات فهم المنطوق والتّعبير الشّفهي وفهم المكتوب والإنتاج الكتابي، وتكتسي هذه الاختيارات أهمية خاصة في سياق دراسة القيم، لأنّ النّصوص التّعليمية لا تؤدي وظيفة لغوية فحسب، بل تحمل مضامين ثقافية واجتماعية وأخلاقية، تسهم في تشكيل وعي المتعلم وتوجيه سلوكه؛ لذلك حرص واضعو الكتاب على اختيار نصوص جزائرية تمثل أكثر من نصف محتواه، مستمدة من محيط المتعلّم وقريبة من واقعه، تتسم بالوضوح والجاذبية وتراعي خصائصه العمرية والمعرفية.

وتتجلى الوظيفة القيمية للكتاب بصورة أكثر وضوحاً في تأكيد المؤلفين أنّ هذه النّصوص تهدف إلى تنمية الطّاقات الفكرية والسلوكية للمتعلم، وتعزيز القيم الرّوحية والأخلاقية والوطنية، وإنماء الذّوق الفني وتوسيع الأفق المعرفي، ويكشف هذا التوجه عن وعي واضعي الكتاب بأهمية البعد القيمي في العملية التّعليمية، إذ لا يُنظر إلى تعليم اللغة العربية باعتباره غاية في ذاته، وإنما باعتباره وسيلة للإسهام في بناء شخصية المتعلّم المتكاملة معرفياً ووجدانياً وسلوكياً، ومن ثمّ فإنّ كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي يمثل مجالاً خصباً لدراسة منظومة القيم التي يتضمّنها، والكشف عن طبيعة القيم المضمّنة في نصوصه وأنشطته ومدى انسجامها مع التّوجهات القيمية التي نصّ عليها منهاج 2016.

5. تجسد القيم في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي (الجيل الثاني)

يُمثل كتاب اللّغة العربية للسنة الرابعة من التّعليم الابتدائي (الجيل الثاني) مشروعاً تربوياً متكاملًا، حيث تتجاوز نصوصه البعد المعرفي اللّساني لتصهر المتعلّم في بوتقة من القيم الرّوحية والأخلاقية والاجتماعية والجمالية، بما يضمن تحقيق "الكفاءة الشاملة" المستهدفة في نهاية الطّور.

ويهدف هذا التّحليل المفصل إلى استجلاء هذه القيم وتصنيفها وفق أبعادها الأكاديمية والتّربوية:

1.5. البعد الإنساني والأخلاقي

يركز الكتاب في مقطعه الأوّل: "القيم الإنسانية"، على غرس قيم أخلاقية عميقة تهدف إلى بناء فرد متعاطف ومسؤول، ويتجلى ذلك بوضوح في نص "مع عصاي في المدرسة" من خلال مشهد درامي مؤثر يعكس رهافة حس المتعلّمة "رجاء"؛ فبينما كانت تحاول جاهدة إيجاد مكان لعصاها دون أن تثير الانتباه أو تعيق الحركة، ارتطمت العصا بالمقعد محدثة صوتاً لفت أنظار الجميع إليها في تلك اللحظة، سيطر الخوف على "رجاء" التي توقعت عقاباً حازماً (صفحة) جراء الفوضى التي أحدثتها، غير أن موقف الأستاذ جاء مغايراً تماماً لتوقعاتها؛ إذ انحنى بكلّ لطف وحمل العصا واضعاً إياها في مكانها الصحيح. وبذلك لا تقتصر القيمة في هذا الموقف على مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة فحسب، بل تمتد إلى ترسيخ مفهوم "الاندماج والمواطنة".

وتتعرّز هذه المنظومة في نص "ماسح الرّجاج" الذي يطرح إشكالية "عزة النّفس والكرامة" كقيمة عليا تمنع صاحبها من التّسول رغم شدّة الفقر، مما يرسخ لدى الطّفل تقدير قيمة "العمل الشّريف"

أما نص "حفنة نقود"، فيرتقي بمبدأ "الإيثار"، حيث يتقاسم الشيخ طعامه القليل مع جيرانه، ممّا يحوّل السلوك الفردي إلى "فعل خير" مؤسس للترابط

2.5. البعد الاجتماعي:

ينتقل الكتاب في المقطع الثاني إلى "الحياة الاجتماعية" لتعريف المتعلّم بـ "الموروث الجماعي الجزائري" وبرز نص "التجمعات" كل من الشورى والتضامن، حيث يتم توظيف مفهوم "التّوزة" كعملية تضامنيّة تهدف إلى مساعدة المحتاجين (مثل إعادة بناء منزل حميد) فالنّص يسعى لتمتين الرّوابط الاجتماعية وغرس مبدأ أنّ "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص"

كما يتطرق نص "بين جارين" إلى "أدب الجوار" وفصّ النزاعات بالحوار الحضاري، ممّا يساهم في بناء كفاءة التّواصل الاجتماعي النّاجح" لدى المتعلّم .

ويظهر هذا البعد أيضاً في المشروع الجماعي "أصنع مطويّة" الّتي تهدف الى تجميل الحي، ممّا ينمي روح "المبادرة الجماعيّة"

3.5. البعد الوطني والحضاري:

يشكل المقطع الثالث "الهويّة الوطنيّة" محوراً استراتيجياً لربط المتعلّم بأرضه وتاريخه ؛ فنص "الحنين إلى الوطن" يغرس قيمة "الوفاء للوطن" حتّى في ظلّ الغربة، مؤكداً أن الجزائر "تسكن القلب إلى الأبد".

ويتم تدعيم هذا الانتماء من خلال استحضار "الرّموز الوطنيّة" مثل العلم والنّشيد، والشّخصيات التاريخيّة الفذة كـ "الأمير عبد القادر"... لترسيخ الدّكرة الجماعيّة والاعتزاز بالسيادة، ويمتد هذا البعد ليشمل "الاعتزاز بالثّراث الثّقافي" في نصوص "لباسنا الجميل" و "أنامل من ذهب"، حيث يُقدّم الثّراث (الزّربية، اللّباس الثّقليدي) كعنصر هوية يطبع الشّخصية الوطنيّة ويميزها حضارياً.

4.5. البعد البيئي والعلمي:

يواكب الكتاب التّحديات العالميّة من خلال "المقطع الرّابع" (الطبيعة والبيئة)، حيث يحمل نص "رسالة الثّعلب" رسالة احتجاجيّة ضد "إجرام الإنسان بحق الطبيعة"، ممّا يؤسس لقيمة "المسؤوليّة البيئيّة" ، وفي المقابل، يفتح "مقطع الإبداع والابتكار" آفاقاً علميّة للمتعلم، حيث تنمي نصوص مثل "مركبة الأعماق" و "سالم والحاسوب" قيم "حب الاستكشاف" و "تحدّي المجهول" بالعلم والبحث.

وهذه النّصوص تهدف إلى تحويل المتعلّم من مستهلك للمعلومة إلى فرد "متوق لاكتشاف المجهول"، وهو ما يخدم كفاءة "التّفكير العلمي والابتكاري"

5.5. البعد الصحي والرياضي:

وأخيراً، يولي الكتاب أهمية كبرى لـ "ثقافة الوعي الصّحي" في المقطع الخامس. فمن خلال نص "قصة زيتونة"، يتعرّف المتعلّم على القيمة الغذائيّة للمنتجات الوطنيّة، بينما يوجهه نص "صحتك هي الأهم" إلى تجنب العادات الغذائيّة السيئة والالتزام بالرياضة.

تقويمية

كما تبرز نصوص مثل "لن تهتف الحناجر" قيمة "الروح الرياضية" والتأخي بين الشعوب، مما يساهم في بناء شخصية متوازنة جسدياً ونفسياً.

6. خاتمة:

يُظهر فحص محتوى كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة ابتدائي توافقاً كبيراً مع مصفوفة القيم التي أقرها المنهاج، حيث لم تعد النصوص مجرد قوالب لغوية جامدة، بل تحولت إلى أوعية فكرية تحتضن القيم الوطنية والإنسانية بوضوح، يعكس هذا التوافق رؤية تربوية تسعى إلى صهر المهارات اللغوية في بوتقة الأخلاق والسلوك، مما يجعل الكتاب المدرسي أداة فعالة في بناء الشخصية المتوازنة للمتعلم وفق غايات المناهج التعليمية الحديثة.

وتتجلى قيم الهوية الوطنية في الكتاب بشكل مكثف، حيث تجسدت دلالات المنهاج الداعية إلى احترام الرموز السيادية والمرجعية الروحية واللسانية، فمن خلال نصوص تتناول النشيد الوطني، والاعتزاز باللغة العربية، والتمسك بالقيم الدينية كحفظ القرآن والامتنال للحديث النبوي، استطاع الكتاب أن يربط المتعلم وجدانياً بمقومات أمته، محولاً توجهات المنهاج إلى ممارسات يومية تعزز الانتماء والسيادة.

أما في جانب المواطنة، فقد وفر الكتاب بيئة خصبة لتنمية روح المسؤولية والعمل التشاركي لدى الناشئة، فبناءً على دلالات المنهاج التي تحث على الصدق، والحوار، والمحافظة على البيئة، تضمنت النصوص مواقف تعليمية تدفع المتعلم للمساهمة في الأنشطة الثقافية والانضباط بالآداب العامة، وهذا التوافق القيبي يسهم في نقل المتعلم من دائرة الفردية إلى فضاء الجماعة، حيث يتعلم كيف يكون مواطناً فاعلاً يخدم مجتمعه بوعي ومسؤولية. وفيما يخص قيم التففتح على العالم، نجح الكتاب في ترجمة دعوات المنهاج لنبذ العنف وترسيخ التعايش السلمي مع الآخر، ويتضح ذلك من خلال الأنشطة التي تدرب المتعلم على احترام موقف الأغلبية داخل الفوج، وقبول مبدأ تداول القيادة، وممارسة الديمقراطية المصغرة في اتخاذ القرارات.

إنّ هذا التوجه يضمن تنشئة جيل منفتح بوعي، يمتلك مهارات الحوار والقبول بالاختلاف، وهي قيم جوهرية أكّد عليها المنهاج لمواكبة مقتضيات العصر.

إنّ تكامل هذه القيم مع الكفاءات العرضية بطوابعها الفكرية والمنهجية والتواصلية يجعل من توافرها في الكتاب أمراً ذا قيمة مضافة، فالمتعلم لا يكتفي بتبني القيمة، بل يمارسها من خلال تنظيم أفكاره، والتعبير عن رأيه بوضوح، والتواصل بفعالية مع زملائه وفق آداب التدخل المقررة، وبذلك، يثبت كتاب السنة الرابعة أنّه مرجع قيبي بامتياز، نجح في تجسيد غايات المنهاج لبناء فرد معتز بهويته، مسؤول في تصرفاته، ومنفتح على محيطه الإنساني.

والحقيقة أن تضمين القيم في النصوص وتمكين المتعلم من فهمها لا يُمثل إلا نصف الغاية التربوية؛ إذ إنّ الاختبار الحقيقي لنجاح المنظومة القيمية يكمن في تحويلها إلى ممارسات سلوكية عفوية وراسخة، ومن أجل ضمان انتقال القيمة من صفحات الكتاب إلى واقع الحياة، يمكن تقديم التوجيهات التربوية الآتية:

- تفعيل القدوة السلوكية: إنَّ المعلم هو "المجسم" الحي للقيم؛ فالفضيلة تفقد قيمتها التربوية إذا لم يجدها المتعلّم متجسّدة في سلوك معلّمه، لذا يجب أن يكون المعلّم أسوة حسنة في انضباطه، وحواره، واحترامه للاختلاف، ليحاكي هذه القيم تلقائياً.
- خلق بيئات ممارسة ميدانية: يجب عدم الاكتفاء بالنص كقالب لغوي، بل ينبغي إفساح المجال للمتعلّم ليمارس القيم عبر الأنشطة المدرسية والجمعيات الدينية والثقافية؛ حيث يتدرّب عملياً على قيم التعاون، والصدق، وتحمل المسؤولية في مواقف اجتماعية حقيقية داخل المدرسة.
- اعتماد أدوات رصد السلوك: بتجاوز أساليب التقويم التقليدية التي تركز على الحفظ، والاعتماد على "بطاقات المتابعة" والملاحظة المنظمة لرصد نمو المتعلّم الشّخصي وسلوكه اليومي، ممّا يسمح للمعلّم بالتدخل التربوي لتصحيح الانحرافات وتعزيز السلوك الإيجابي.
- ربط المدرسة بالمحيط الاجتماعي: إذ أنّ متابعة ممارسة القيم تتطلب تنسيقاً وثيقاً مع الأسرة ووسائل الإعلام، لضمان استمرارية ممارسة المتعلّم لما اكتسبه من قيم وطنية وأخلاقية خارج أسوار المؤسسة التربوية، ممّا يحمي الناشئة من التناقض القيمي .

المراجع

1. بورني سراب وآخرون بن الصيد. (2017). اللغة العربية: السنة الرابعة من التعليم الابتدائي. الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية.
2. رواء كاظم فرهود، وابتسام محمد عبد. (2023). منظومة القيم: ماهيتها ومرتكزاتها الرئيسة.
3. سهيل الهندي. (2001). دور المعلم في تنمية بعض القيم الاجتماعية لدى طلبة الصف الثاني عشر بمحافظات غزة من وجهة نظرهم.
4. سهيل رزق دياب. (2006). تطوير أداة لقياس جودة الكتاب المدرسي وتوظيفها في قياس جودة كتب المنهاج الفلسطيني.
5. عمر بوحملة. (2020). معالجة مناهج اللغة العربية لمرحلة التعليم الابتدائي للموضوعات القيمية. مجلة المزهر.
6. ماجد زكي الجلال. (2013). تعلم القيم وتعليمها: تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم. دار المسيرة.
7. مانع محمد بن علي المانع. (2005). القيم بين الإسلام والغرب: دراسة تأصيلية مقارنة (الإصدار ط1). الرياض، السعودية: دار الفضيلة.
8. محسن علي عطية. (2013). المناهج الحديثة وطرائق التدريس (الإصدار ط1). عمان، الأردن: دار المناهج.
9. محمد حسن أبوقطة. (2025). إدارة المؤسسات التربوية، نظريات واتجاهات مؤثرة. مصر: مكتبة الفرقان.
10. وجهة ثابت العاني. (2014). القيم التربوية وتصنيفاتها المعاصرة (الإصدار ط1). الأردن: دار الكتاب الثقافي.
11. وزارة التربية الوطنية اللجنة الوطنية للمناهج. (2016). الإطار العام للوثيقة المرافقة لمناهج التعليم الابتدائي.
12. وزارة التربية الوطنية، اللجنة الوطنية للمناهج. (2016). الوثيقة المرافقة لمناهج اللغة العربية، مرحلة التعليم الابتدائي.